

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[325] الآية 19: وَمَا كَانَ الذِّسَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا^١ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ^٢ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِّىَ بَيْنَهُمْ^٣ فَيَمَّا فِيهِ^٤ يَخْتَلِفُونَ^٥ 19 التفسير إنَّ هذه الآية - تتمَّة للبحث الذي مرَّ في الآية السابقة حول نفي الشرك وعبادة الأصنام - تشير إلى فطرة التوحيد لكل البشر، وتقول: (وما كان الناس إِلَّا أُمَّةً واحدة). إنَّ فطرة التوحيد هذه، والتي كانت سالمة في البداية، إِلَّا أنَّها قد اختلفت وتلوَّثت بمرور الزمن نتيجة الأفكار الضيقة، والميول الشيطانية والضعف، فأنحرف جماعة عن جادة التوحيد وتوجهوا إلى الشرك، وقد انقسم المجتمع الإنساني إلى قسمين مختلفين: قسم موحد، وقسم مشرك: (فاختلفوا). بناءً على هذا فإنَّ الشرك في الواقع نوع من البدعة والإلحاد عن الفطرة، الإلحاد المتروك من الأوهام والخرافات التي لا أساس لها. وقد يطرح هنا هذا السؤال، وهو: لماذا لا يرفع الله هذا الإلحاد بواسطة عقاب المشركين السريع، ليرجع المجتمع الإنساني جميعه موحدًا؟ ويجب القرآن الكريم مباشرة عن هذا السؤال بأنَّ الحكمة الإلهية تقتضي